# الفصل الثالث
# تاريخ النكتة فى مصر

obeikan.com

obeikan.com

# الفصل الثالث

# تاريخ النكتة فى مصر

للنكتة تاريخ طويل في مصر... فالشعب المصري من الشعوب المحبة للضحك والمبدعة للنكتة... ويجدر بنا هنا أن نستطلع في إطلالة سريعة تاريخ النكتة في مصر، فمن خلال هذا التاريخ وعلاقته بمناحي المجتمع الأخرى سيتبين لنا بوضوح بعض جوانب الأثر السيكولوجي للنكتة:

## أولا: النكتة فى مصر القديمة

يذكر كتاب "مصر والحياة المصرية في العصور القديمة" والذي نشرته مكتبة النهضة المصرية مترجما عن الألمانية انه كان للمصريين ولع خاص بالتلاعب بالألفاظ وبين تراثهم ومن مخلفاتهم نشيد في مركبة لفرعون ألف على أساس التلاعب بالألفاظ إذ يحصي مؤلفه "أجزاء المركبة ويسميها، وفي كل مرة يذكر فيها اسم الجزء الخاص من أجزائها يعود فيذكره مرة ثانية بمعنى آخر يصف به قوة فرعون" فالكلمة ذات معنيين يستغلها صاحب النشيد دائما في صنع نشيده متلاعبا بهما".

وهذا التلاعب منبع النكتة التي تجري في الحديث إذ تصبح الكلمة معدة بذاتها ليبرز فيها ذهول اللغة الذي يشبه ذهول أصحاب الغفلة، ففيها شحنتان مختلفتان، والمتحدث اللبق يستغل الشحنتين فيوري بواحدة عن الأخرى وبذلك يظهر ما فيها من قوة هزلية تضحكنا. ومعنى ذلك أن الشعب المصري وضع يده من أقدم الأزمنة على هذه المفاتيح اللغوية، وما يطوي فيها من تلاعب ولا نشك في أنه استغلها للتفكه والضحك لأنها بطبيعتها ترشد إلى هذا الاستغلال وأيضا فانه كان معداً من حيث مزاجه المرح لاستنفاذ كل وسيلة في هذا الجانب. (شوقي ضيف، 1985).

وقد نشر كتاب "مصر الحياة المصرية في العصور القديمة" عشرات الرسوم والصور المتلاحقة والتي تفيض بروح الفكاهة منها:

- صورة سيدة هزيلة لسيدة تتزين فتمسك في يد بإناء احمر الشفاه وباليد الأخرى بريشة تطلي بها شفتيها.

- **وصورة الذئب يرعى ماعزا أو القط الذي يرعى الإوز (كالمثل العامي حاميها حراميها).**
- **وصورة الأسد الذي يلعب الشطرنج مع الحمار ويأمره الحمار بأن "كش ملك".**
- **ومن الصور التي لا ننساها في كتب التاريخ والتي ما نكاد نراها أو نتذكرها حتى نضحك أو نبتسم وهي صورة أمير وأميرة "بونت" وهما وافدان على فرعون مصر لتقديم فروض الطاعة وفيها نرى الأميرة قد تضخم نصفها الأسفل وتأخر عن وضعه عن النصف الأعلى فأصبح شكلها مثيرا للسخرية والضحك.**

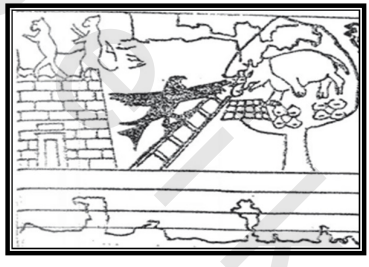

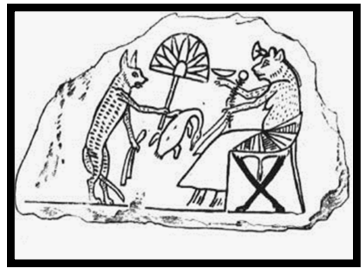

ثعلب يخدم سيدته القطة ويقدم لها طعاما من السمك
بعض الأشخاص يجلسون على شجرة وعصفور يحاول الصعود إليهم مستخدما سلما

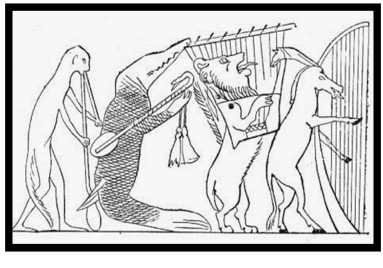

أسد يلعب لعبة تشبه الشطرنج مع غزالة
تبدو الغزالة مشهد كوميدي لفرقة موسيقية تتألف من الحيوانات وكأنها تغش الأسد

قطة ترعى سرباً من الإوز  ثعلب يعنى بقطيع من الماعز

قطة تؤدي دور خادمة، تروّح عن سيدتها المرسومة على هيئة فأر، ممسكة بزهرة اللوتس

**وحين ابتليت مصر الفرعونية بغزو الفرس واليونان والرومان ذهبت تنفس عن عذابها وآلامها وكآبتها بفكاهات مرة مليئة بسموم اللذع والتهكم والسخرية وكما سخروا وتهكموا بالفرس لأنهم غزاة ظالمون كذلك لم يسلم من تهكمهم البطالمة علي الرغم من تودهم للمصريين. فلم يدعوا فرصة تمرد دون أن يصيبوهم بسهام تلك التهكمات. من ذلك أنهم نبذوا كل منهم بلقب ميزه به فلقبوا "بطليموس الأول" بلقب "الزمار".**

**(ونرى "ثيوكريتوس" الشاعر اليوناني الذي عاش في الإسكندرية أثناء القرن الثالث قبل الميلاد يشير إلى هذه النزعة في المصريين وما يطوي فيها فن الفكاهة من السخرية بقوله "إنهم شعب ماكر لاذع القول، روحه مرحة").**

**كذلك فلم ينج قيصر من قياصرة الرومان – وقد كانوا قساة في حكمهم – من سخرية المصريين المريرة، ومن ذلك أنهم نبذوا القيصر "فسيسيان" بلقب تاجر السردين – وقالوا انه لا يساوي ستة مليمات – ولقبوا قيصر آخر بلقب النسناس المدلل الصغير.**

## ثانيا: النكتة في العصور الإسلامية الأولى

بعد أن أصبحت مصر ولاية عربية ظلت معها أدوات فكاهتها وسخريتها وما أن ثبتت شخصيتها واستقلت عن الخلافة في عهد ابن طولون حتى وجدنا لها شاعرا فكها مشهورا كان ينبذ "بالجمل الأكبر" وكان لعبة للأمراء يمدحهم وينادمهم متطرفا مستملحا، يروي لهم النوادر والنكت التي تطرفهم وهذه إحدى نوادره قال "كان قوم كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى تعاهدوا فيما بينهم لكسلهم أنه إذا سقط في أفواههم شئ أكلوا وإلا فلا، فسقطت كمثرى إلى جانب احدهم، فقال له الذي يليه: ضعها في فمي، فأجابه لو استطعت أن أضعها في فمك لوضعتها في فمي".

وخلف "الجمل الأكبر" لعصر الإخشيد شاعرا ثانيا لقبوه "بالجمل الأصغر" وشاعرا آخر يسمى "سعيد" كان نديما للإخشيد ولقب "بقاضي البقر" هزءا له ودعابة (شوقي ضيف، 1985).

ولعل أفكه من عرفت مصر في عصورها الإسلامية هو "سيبويه المصري" وقد عاصر الدولة الإخشيدية ونقد موظفيها نقدا مليئا بالمرارة والخبث وفيه تنفيس عما قد يقع على الناس من ظلم. وكان يقف في الأسواق يصيح بسبه وهجائه والناس يجتمعون ويضحكون ولم يكن يسبب ويهجو بلفظ قبيح، إنما كان ينهر ويزجر مستخدما آية قرآنية أو حديثا أو سجعا يولده لوقته.

وما روى الرواة من شعره قوله:

"ما ليلة المشتاق با  عدت النوى عنه أنيسة
أو ليلة الملدوغ حا  ذر ميتة النفس النفيسة
بأمد من ليل الظريـ  ـف إذا تجوع للهريسة"

## ثالثا: النكتة في العصر الفاطمي

وكما يقول شوقي ضيف في كتابه "الفكاهة في مصر" فان روح الفكاهة تتسع في العصر الفاطمي وتتنوع ففي الناحية السياسية كثرت السخرية بين الناس عن الشك في نسب الفاطميين إلى فاطمة الزهراء ومن ادعاء بعض الخلفاء علم الغيب بل والإلوهية، ومن تقلد اليهود للمناصب الكبرى، وفي هذا المجال ما زال المصريون يعنفون الفاطميين

حتى ابعدوا اليهود من أعمال الدولة ودواوينها وكشفوا غمتهم عن صدرها وما قيل في هذا الصدد.

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم وفيهم المستشار والملك

ومن الناحية الاجتماعية فقد اتسعت مجالس الأدب وكثرت المطارحات والنوادر وكثر من يحاولون أن يضيفوا إلى طنبور الضحك نغمة بل نغمات ومن الشعراء الذين برزوا في هذا المجال من لقب "بالجهجهان" و"شلعلع" و"الكاسات" ورابع لقب "بالوضيع" وخامس "بالنسناس" وسادس "بأبي مكنسة" وكان هذا ماجنا يظهر الفقر والتصعلك ومن أبياته التي يصف فيها قبح منزله وضيقه:

لي بيت كأنه بيت شعـر لابن حجاج من قصيد سخيف
أين للعنكبوت بيت ضعيف مثله وهو مثل عقلي ضعيف
بقعة صد مطلع الشمس عنها فأنا منذ سكنتها في الكسوف

وفي كلمة الكسوف تورية واضحة إذ أراد بها الخجل لا كسوف الشمس المعروف (وهذا من أهم خصائص النكتة).

ومن أشهر فكهاء العصر الفاطمي "ابن قادوس الدمياطي" وقد روت له كتب الأدب طرائفا كثيرة من فكاهاته ذات اللذع والتهكم ومن تهكمه على شاعر اسود وكان صديق له:

إن قلت من نار خلق ت وفقت كل الناس فهما
قلنا صدقت فما الذي أطفاك حتى صرت فحما

ومن شعراء الدعابة والمزاح أيضا "الجليس بن الحباب".. ونراه يشكو طبيبا تعهده وهو محموم فيقول متندرا عليه:

طبيب طبه كغراب بـين يفرق بين عافيتي وبينـي
أتى الحمى وقد شاخت وباخ ت فرد لها الشباب بنسختين
ودبرها بتدبير لطيف حكاه عن سنان أو حنين
وكانت نوبة في كل يوم فصيرها بحذق نوبتين

(سنان بن ثابت، حنين بن ثابت شيخين من شيوخ الطب في العصر العباسي)

# رابعا: النكتة فى العصر الأيوبى

ويستطرد شوقي ضيف في كتابه المذكور فيخبرنا بأنه رغم ما في هذا العصر الأيوبي من حروب صليبية فقد ظلت الروح الفكاهية ملازمة للمصريين موضحا إيغالهم في لعبة التورية الخفيفة (وهي عماد النكتة) ومن أشهر من عنوا بها "القاضي الفاضل" وزير "صلاح الدين" وكاتبه "ابن سناء الملك" (ولم تثر تورياتهم الضحك كثيرا) ولكن "البهاء زهير" كان أحلى روحا وأخف دما وكثر في شعره التظرف والمزاح والدعابة ومن ذلك قوله:

لك يا صديقي بغلــة ليست تساوي خردلــه
تمشى تحسبها العيـو ن على الطريق مشكلة
وتخالهـا مدبرة اذا ما أقبلت مستعجلــة
مقدار خطوتها الطويـ لة – حين تسرع – انملة
تهتز وهي مكانهـا فكأنما هـي زلزلة

وأقدم الكتب الفكهة (كتاب الفاشوش في حكم قراقوش) بالمعنى الدقيق للفكاهة في تاريخ مصر الإسلامية وألفه "الأسعد بن مماتي" صاحب ديوان الجيش والمال لعهد "صلاح الدين" واشتهر بالبديهية واللذع في النادرة.. وقد وضع الحكايات المضحكة عن قراقوش التركي (احد قواد صلاح الدين) وجمعها في كتابه المذكور.

ومن النوادر التي ذكرها نادرة "السيدة السوداء التي ذهبت تشكو جارتها البيضاء "لقراقوش" فحبس الشاكية متعجبا أن تكون إمراة بيضاء مملوكة لسيدة سوداء لولا تدخل الجارية وعفوها عن سيدتها".

ونادرة "الرجلين الملتحيين يذهبان "لقراقوش" فيشكوان إليه رجلا "اجرودا"[43] يعبث بلحيتهما فيدعى عليهما الاعتداء على الرجل بنتف لحيته ويأمر بحبسهما حتى تنبت لحية الرجل".

ونادرة "طلب "قراقوش" من احد القضاة حساب القمح والشعير والفول والحمص فيصدع القاضي للأمر ويضع الحساب في صحيفة واحدة، فيختلط الأمر على "قراقوش"، ويظن أن القاضي خلط الأصناف ببعضها ولولا ذلك ما جمعها في صحيفة واحدة، ويأمر بحبسه

---

([43]) اجرود: ليس ملتحيا.

فيتنبه القاضي ويرسل إليه حساب كل صنف في صحيفة، فيسر "قراقوش" ويعفو عنه قائلا: لقد تعبت يا فقيه.. نقيت هذا من هذا وذا من ذا زفوه في المدينة".

وتقول "سهير القلماوي": "والعجيب أن ما وصلنا من نوادر "قراقوش" التي رواها "ابن مماتي" في كتابه (الفاشوش في حكم قراقوش) وحتى ما أضاف إليها "السيوطي" بعد ثلاثة قرون لا يدلنا على صرامة أو قسوة بقدر ما يعكس غباءا أو حمقا أو ضعف ذاكرة....

ولكن "ابن مماتي" افلح في أن يقدم هذا القائد الذي لا يعرف أدبا ولا يلمح نكته بأنه ظالم حتى أننا لا زلنا نردد القول (حكم قراقوش) إلى اليوم (سهير القلماوي، 1966).

## خامسا: النكتة فى العصر المملوكى

لعل هذه الروح المصرية الفكهة لم تتسع في عصر كما اتسعت في عصر المماليك إذ فرغت مصر أو كادت من الحروب الصليبية، وخلد المصريون إلي رخاء شاعت فيه فنون من اللهو واللعب... وتفجرت ينابيع الفكاهة في أنفسهم، وان من يتصفح آثار الشعراء لهذا العصر لا يلبث أن يغرق في الضحك لكثرة ما دأبوا عليه من مزاح ومداعبات. ففي كل مكان وفي كل ناد لا هم للشعراء إلا أن يتحفوا معاصريهم بنكتهم ونوادرهم وهي نكت ونوادر لم يقفوا بها عند رفقائهم وأصدقائهم من المواطنين بل تعدوهم إلى ساستهم وحكامهم الأجانب من الترك المماليك فمن ذلك: لما قتل السلطان وكان فيه ميل للهو وحب النساء قال بعض الشعراء متهكما:

لما أتى للعاديات وزلزلت  حفظ "النساء" وما قرأ الواقعة

وواضح استعانته بهذه السور من القرآن الكريم ليعبر بها عن لهو السلطان وما يريد من سخرية به وبسيرته وفي كلمة "الواقعة" تورية واضحة بمقتله.

***

ولعل "إبن سودون" وهو إمام ببعض المساجد كان أظرف ظرفاء هذا العصر ووضع كتابا يعتبر مرجعا دسما للشعر الفكاهي والحكايات الفكهة ومعظم الديوان من اللفظ العامي والشعبي وهو ديوان "نزهة النفوس ومضحك العبوس" وكثير من أمثال هذا الديوان وألفاظه ما تزال جارية.. وكان "ابن سودون" يعتمد في فكاهاته على المفارقات المنطقية... ولعل أبرزها في هذا الكتاب هو سخريته من أبناء الصعيد ومن شيوخ هذا العصر وأصحاب العلوم والفنون والريفيين من غير الصعيد.

## سادسا: النكتة في العصر العثمانى

بالرغم مما ساد هذا العصر من ظلام استتبع تحول مصر إلى ولاية عثمانية وسوء حالتها الاقتصادية والعلمية والأدبية إلا أن طابعها الفكاهي لم يفارقها، ويروي "الجبرتي" أن أهل القاهرة غضبوا على الوالي العثماني فتجمعوا تحت قصره ينادون عليه معلنين غضبهم:

يا باشا يا باشا يا عين القملة  من قال لك تعمل دي العملة
يا باشا يا باشا يا عين الصيرة  من قال لك تدبر دي التدبيرة

ومن كتب هذا العصر "هز القحوف" الذي ألف لتصوير أهل ريف مصر وبيان ما هم عليه من فقر وجهل وبؤس وقد ألفه شخص يسمى "يوسف الشربيني" وكان عالما واعظا.

## سابعا: النكتة في العصر الحديث

رافقت المصريين روحهم الفكهة في العصر الحديث واكبر من اشتهروا بها "الشيخ حسن الآلاتي" توفي عام 1889 وكان أزهريا تحول إلى الغناء فارتقى به ولقب "بالآلاتي" وكان خفيف الظل كثير الدعابة.. أهداه أحد الوزراء "مركوبا" في يوم عيد فأرسل يشكره: "إن كل شخص يحشر يوم القيامة تحت ظل صدقته".

وعاد يوما إلى بيته فسأل زوجته عن الطعام فقالت: "ليس عندنا طبيخ ولكن أعددنا لك خبزا وشماما" وبينما هو يأكل سمع رجلين يتشاجران في الطريق وأحدهما يسب الآخر قائلا: يا رجل يا طبيخ فانطلق برغيفه وخرج إليهما مسرعا يقول "أين الرجل الطبيخ" فضحك الناس وانفضت المشاجرة.

وله كتاب "ترويح النفوس" من جزءين بناه من الأزجال الفكاهية والمواقف الهزلية (شوقي ضيف، 1985).

واستعراض الفكاهة في العصر الحديث يحتاج لدراسة قائمة بذاتها فقد ظهر كثير من الظرفاء والصحف الهزلية مثل "أبو نظارة"، و"التنكيت والتبكيت"، "الأستاذ والأرغول"، "حمارة منيتى"، "خيال الظل"، و"السيف والفكاهة"، وقد لعبت المقالات الساخرة والصورة الهازئة في هذه الصحف أدوارا خطيرة من الناحية السياسية والاجتماعية.

كما حفل هذا العصر بالمجالس والمقاهي التي تعد منتديات أدبية ومن أهم ظرفاء هذا العصر "محمد البابلي" وكان سريع الخاطر بارع النكتة خفيف الروح ومن نوادره أن الديون

**ركبته ورهنت أرضه في البنك العقاري وغنى أمامه "صالح عبد الحي" أغنيته المشهورة "أهل السماح فين أراضيهم؟" فقال: "في البنك العقاري"، والتورية واضحة.**

**وركب يوما مع "البشري" قاربا في النيل فخاف البشري وقال: الحقني يا "بابلي" المركب حتغرق فرد عليه: يا أخي ما تغرق (لتغرق) هي بتاعتنا.**

***

**و"الشيخ عبد العزيز البشري" لا يقل عن "البابلي" خفة ورشاقة نكته، اعترضه احد العامة ليقرا له خطابا طويلا فقال له: لا اعرف القراءة فتعجب العامي وقال له: كيف ذلك وأنت تلبس هذه العمامة الكبيرة؟ فامسك بعمامته ووضعها على رأس الرجل وقال له: اقرأ.**

**وفي أثناء وضوءه ذات يوم رسم أحدهم على جبته بالطباشير رأس حمار فما انتهى من وضوءه ونظر إلى الجبة حتى صاح من الذي مسح وجهه في جبتي.**

***

**وكذلك "حافظ إبراهيم" وهو أهم من عاصر "الشيخ البشري" سرعة خاطر وحضور بديهة، سأله أحدهم لماذا لا يغير بدلته فأجابه لأن فيها صفتين عزيزتين: القدم والوحدانية (أي لا يملك سواها).**

**وتوعك جانب بطنه الأيسر ذات يوم فخاف أن يكون قد أصيب بالمصران الأعور فقال له صديق: إن المصران الأعور لا يكون إلا في الجانب الأيمن فقال له: ربما يكون أعور شمال يا أخي.**

***

**والحقيقة أن المصري بطبعه تغلب عليه روح الفكاهة حتى في أحلك الظروف والأزمات.**